دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العبادة والعمل في النظم الإنسانية وفي الإسلام
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	البهي، محمد
المجلد/العدد:	س13, ع153
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1977
الشهر:	رمضان / أغسطس
الصفحات:	17 - 23
رقم MD:	438041
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	النظم السياسية، الدين الإسلامي، القرآن الكريم، دور العبادة، العمل والعمال، النقابات العمالية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/438041

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العبادة والعمل في النظم الإنسانية وفي الإسلام

للدكتور محمد البهي

— ١ —

النظم الانسانية تعزل الدين عن العمل في المصانع ، والمـــزارع ، والمناجم ، كما تعزله عن الاقتصاد ، والسياسة ، والعلاقات الاجتماعية، هي تفصل بين الدين ، والدولة . اي تفصل بين سلطتين في المجتـــمع الواحد : سلطة الكنيسة ، وسلطة الدولة .

نظم الحكم الانسانية،من رأسمالية، وماركسية او اشتراكية ، هي نظـم علمانية . تقر بأمرين متقابلين فـي

المجتمع ، يجب الا يختلط احدهما بالآخر .. تقر بأمر الهي قدسي ، وأمر آخر دنيوي بعيد عن العصمة . فالكنيسة تشرف على ذلك الامر القدسي وهو ما يتصل بالاسرة ، منذ تعميد الطفل فيها الى التصرف في بدنه بعد وفاته . والمرجع في ذلك هو الكتاب المقدس . والدولة تشرف على ما عدا الطقوس الدينية في الاسرة ، مما يتصل بشؤون الحياة الدنيوية للافراد، في جوانبها العديدة، من سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وعمرانية ، وانتاجية ، وعلمية وتعليمية . والمرجع في ذلك هو الدستور والقوانين الوضعية للدولة .

ومعنى هذا الفصل : انه لا شأن للكنيسةبسلطة الدولة في اختصاصها، ولا شأن للدولة بسلطة الكنيسة فيما تمارسه من رسالة بين الافراد .

والافراد باعتبار هذا الفصل بين السلطتين يخضعون في جانب من حياتهم الى الكنيسة وحدها ، بينما يخضعون في الجوانب الاخرى للدولة من غير تنازع لها .

والنظامان المتداولان للحكم في المجتمعات المعاصرة يختلفان بعد اتفاقهما على الفصل بين السلطتين : الدينية ، والزمنية — في موقفهما من العلاقة بين السلطتين . فالدولة في النظام الماركسي او الاشتراكي تعادي الكنيسة ، وبالتالي تعادى الدين . على معنى : ان الدولة في هذا النظام، رغم انها تعلن « حرية التدين » في دستور حكمها ، الا انها تضع العراقيل الكثيرة في طريق اصحاب الرغبة في ممارسة التدين ، كما تضعها في ممارسة الكنيسة لاختصاصها ، وتجعل الالحاد العلمي : المقوم الرئيسي عند اختيار القيادات ، أو عند تحديد الصلاحيات للانسان الماركسي او الاشتراكي .

أما النظام الرأسمالي وان كان ينمى سلطة الكنيسة في الجوانب التي يمارس سلطته فيها ، الا انه يسهم بنصيب وافر في تحقيق اهداف الصليبية العالمية . وأهدافها تتمثل في حماية الكنيسة ، والاقليات المسيحية في المجتمعات البشرية. وقد يتخذ هذا النظام من حماية الكنيسة والاقليات المسيحية ، ستارا يدفع من ورائه : الحركات الاسلامية او التوجيه الاسلامي في البلاد الاسلامية الى الوراء ، ويحول دون انتشار تلك الحركات ، او سيطرة هذا التوجيه على تلك المجتمعات .

— ٢ —

والاسلام في منهجه للحياة لا يعزل العبادة عن العمل، ولا يرى في المجتمع سلطتين : سلطة الهية معصومة ، وأخرى دنيوية غير معصومة .وبالتالي لا يعرف العلمانية . والمسلمون يعرفونها في مجتمعاتهم اما عن هذا النظام في الغرب ، او ذلك النظام الآخر في الشرق .

الاسلام يعرف فقط مسلمين يؤمنون به . وهم في كل مواقع الحياة متساوون في الاعتبار البشري . ولا يفصل بين بعضهم بعضا : اعتبار سياسي ، او اجتماعي . والدولة في الامة الاسلامية دولة ترعى جميع جوانب الحياة المختلفة للمسلمين . وجوانب الحياة المختلفة ليس بينها مقدس ، وغير مقدس ، والحاكم في

الدولة الاسلامية يعمل بكتاب الله . ان اخطأ في التطبيق او الفهم لما ورد فيه فله اجر ، وان اصاب فله اجران. وعلى الامة ان تطيع حاكمها المسلم ، طالما لا يعصى الله في حكمه : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا)** .

النساء/ ٥٩

والحاكم في الاسلام هو القدوة في العمل الصالح .. وهو الامام في الصلاة .

وتطبيق « العلمانية » بمفهوم الغرب او الشرق ، في المجتمعات الاسلامية ، يسيء الى الاسلام . لان تطبيقها في هذه المجتمعات يعزل الاسلام عن الحياة الانسانية فيها ، وعن توجيه الحكم في سياستها ، دون أن يكون له سند من هيئة أو مجموعة من المؤمنين في المجتمع تساند دعوته الى الخير والمعروف . بل ربما يكون تطبيق «العلمانية» في المجتمعات الاسلامية، اقسى على الاسلام من إهماله وترك دعوته .. ربما يؤدي هذا التطبيق الى اضطهاد الدعوة الى الخير والمعروف ، اذا تجلى منها بعد الحاكم في حكمه عن الاسلام ، وعدم أهليته للحكم ، التي توجب على المسلمين طاعته .

تطبيق العلمانية في المجتمعات الاسلامية يعني امراً واحداً .. يعني الغاء الاسلام، ولو على مراحل واسقاط ما طلبه الله بشأن الدعوة الى الاسلام، بعد ختم الرسالة بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام، في قوله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)**

آل عمران / ١٠٤

تطبيق العلمانية في اي مجتمع اسلامي معاصر فيه اقلية غير اسلامية ولها دينها وعقيدتها الخاصة، هو اعطاء فرصة لهذه الاقلية في تنمية شؤون عقيدتها على حساب الاسلام وحده . لان الاسلام بينما يتراجع تحت تطبيق العلمانية ، في مجالات الحياة الانسانية المختلفة ، اذا بعقيدة هذه الاقلية في ظل حكومتها الالهية الممثلة في كنيستها — رغم الفصل بين السلطتين — تزدهر بين أتباعها ، الى أن تأخذ في الاعتبار مكان الاسلام ، كدين الاكثرية .

الاسلام يربط بين العمل في المصانع، والمزارع ، ومجالات الانتاج والخدمات من جانب ، وبين العبادة من جانب آخر . ويجعل حياة الانسان مرددة بين العمل والعبادة : من العبادة الى العمل .. ومن العمل الى العبادة ، يقول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)**

الجمعة / ٩ و ١٠

.. فيطلب الانتقال من العمل لاداء العبادة ، كما يطلب مباشرة العمل توا بعد انقضاء ادائها . ثم يطلب ان يتذكر الانسان الله عند ادائه للعمل ، ويجعل تذكره لله مصدر رجاء وامل

في انجاح عمله .

ومعنى اقتران العمل بالعبادة ، والعبادة بالعمل : أن الآثار المترتبة على اداء العبادة يجب أن يعيش بها الانسان في مباشرة العمل . فماذا ترتب على الصلاة : الرجوع الى الله واستلهام العون منه في فترات متقاربة في اليوم .. وترتب على الصوم : الصبر والتحمل على الحرمان ، ومراقبة الله وحده في ادائه .. وترتب على الزكاة : الاحساس بالسيادة على شهوة النفس نحو المال ، فالانسان المصلي، والصائم ، والمزكى ، اذا باشر العمل في سبيل الرزق ، يباشره : مستلهما العون من الله في ادائه .. وصابرا متحملا ، مراقبا الله وحده في مباشرته .. وممسكا بنفسه بعيدا عن الاغراء بما تحت يده من مال يعمل فيه .. ووجود الانسان بآثار عبادته في اداء العمل هو ترجمة لذكر الله فيه ، كما تنصح الآية الكريمة هنا : (**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) .

الاسلام لا يعزل المصنع عن المسجد ، ولا المسجد عن المصنع والمزرعة ، والمنجم ومكاتب الخدمات ومواقعها . ما يؤدي في المسجد من صلاة تترجم آثاره في العمل في اي مكان . وما يؤدي في العمل في أي مكان يجب أن يكون ترجمة في ادائه لما يكون بين الانسان وربه في المسجد .

ومما يربط بين المسجد كمكان للعبادة ، والمصنع كمكان للعمل في نظر الاسلام : قول الله تعالى في طلب الجمع بين قوة الحديد في الصناعة ، وهداية القرآن في منهج الحياة :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)

الحديد/ ٢٥

.. فتقرن الآية الحديد ، بكتاب الله في النزول ، امتنانا من الله على الانسان . وأوضحت ان كتاب الله اذا كان للهداية الى المنهج السليم في الحياة ، ولاقامة العدل بين الناس ، فالحديد للعزة والمنعة والوقاية ضد الاعتداء ، وفي الوقت نفسه للمنافع العديدة في الحياة المدنية للانسان .

الحديد يستخرج من الارض . ولكن تعبير القرآن هنا بنزوله من السماء من عند الله : قصد منه رفع شأنه وقيمته للانسان في حياته . فقيمته سواء في الدفاع عن الانسان او في حضارة الانسان المادية ، تساوي قيمة كتاب الله في هدايته للبشر ، وفي الحكم بالعدل بين الناس على اساس منه .

والانسان المسلم لا يعزل نفسه اذاً عن الحضارة المادية . لانها حضارة الحديد ، وصناعة الحديد. والانسان المسلم إذاً كما يسعى الى تطبيق كتاب الله في حياته ، يجب أن يسعى ايضا الى كشف اسرار الحديد والانتفاع بها في المنعة من اعدائه وبناء حضارته : في السكنى .. والانتقال .. وتيسير أمر معيشته في الحياة .

والدين الذي يريد للناس حضارة

انسانيةتؤسس على المستوى الفاضل للانسانية : في السلوك .. وفي العدل .. وفي الاحسان ، ويريد لهم ايضا حضارة صناعية تقوم على اسرار الحديد في القوة والمنافع المادية: ليس هو الدين الذي يعزل عن الحياة العامة في المجتمع باسم العلمانية ، وليس هو الدين الذي يفرق بين العبادة في المسجد ، والعمل في المصنع، في القيمة .

النقابات في النظم الانسانية .. وفي الاسلام

— ١ —

من نظرة الاسلام الى الواجب والحق .. ومن نظرته الى المال .. ونظرته الاخرى الى الخير والشر : ليست « النقابة » الا أمة اومجموعة من الافراد تسعى الى تحقيق المصلحة العامة : للعمال ، او لاصحاب المهن المختلفة . ووظيفتها تندرج تحت ما جاء في قول الله تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم).

آل عمران / ١٠٤ و ١٠٥

.. فما جاء هنا في هذه الاية يستهدف الخير والمصلحة العامة ، والتوجيه نحو فعل الاحسن ، ونحو تجنب السيىء .. والبعد عن الدعوة الى الفرقة ، والنزاع ، والشقاق .

ونقابة العمال او نقابة اية مهنة إذاً يجب أن تكون وظيفتها — حسب هذه الآية — دعوة أعضاء النقابة الى اداء الواجب اولا . وعند اداء الواجب تكون دعوتهم الى فعل الاحسن وهو الاجود ، أو هو ما ينطوي على خير او مصلحة اكثر ، وتجنب كل ما يسيء الى العمل او ما يسيء الى المهنة . وبأداء الواجب لا يكون هناك اختلاف ، فضلا عن أن يكون هناك نزاع او شقاق :

فنقابة الاطباء مثلا لو دعت الاطباء الى واجبهم في المستشفيات ، ومكاتب الصحة ، وعياداتهم الخاصة — وواجبهم هو واجب انساني قبل كل شيء — ودعتهم كذلك الى الابتعادعن الاستغلال وانتهاز الشدائد والمحن ، لكانت النقابة أمة تدعو الى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر .. ولكان الاطباء القائمون بأداء واجبهم على النحو الانساني ، بعيدين عن اسباب الفرقة والاختلاف بينهم وبين مواطنيهم من المترددين عليهم واصحاب الحاجة الى مشورتهم .

ولو أن الاطباء اعضاء النقابة احسنوا في اداء واجبهم فخصصوا بعض ساعات العمل في الاسبوع ، للفقراء ، واسقطوا عنهم اجر الزيارة لأضافوا الى انسانية واجبهم : انسانية المحسنين الى اخوانهم في المجتمع . وهذه الاضافة لها اثرها عند الله ، وعند الناس .

ونقابة المهن الهندسية ايضا لو دعت اعضاء النقابة الى اداءالواجب بضمير المؤمن في الميادين الهندسية المختلفة ، ودعتهم كذلك الى الابتعاد عن الاستغلال وانتهاز حاجة اصحاب المصالح عندهم من المواطنين ، لكانت النقابة عندئذ : امة تدعو الى الخير، وتأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر ، ولتوفر من اداء واجبهم ما يغطى

كذلك حقهم في الرعاية .

وعلى هذا النحو : نقابة العمال في أية شركة أو مصنع ، تستطيع أن تحصل على حقوق العمال كاملة وفي يسر من دعوتهم الى اداء الواجب في العمل ، في غير رقابة من صاحب العمل ، او في غير رقابة كذلك من الدولة فيما تملكه تحت اسم القطاع العام . ولو أنها دعت ايضا الى تجنب ما يسيء الى العمل ، في كمية الانتاج أو في نوعه ، لدعت كذلك الى تجنب المنكر .

اما حقوق العمال في الاجور وفي صنوف الرعاية الاجتماعية لهم ولاسرهم ، فأمر يتوفر آليا من ادائهم الواجب ، واجادتهم لادائه ، وبعدهم عن الاساءة فيه .

— ٢ —

أما في النظم الانسانية التي اقتبسناها من الغرب او من الشرق في مجتمعاتنا الاسلامية ، فالنقابات هيئات تواجه في الغرب احتكار رؤوس الاموال وتحكمها في الاجور وساعات العمل . وفي الشرق تساعد نظام الحكم مساعدة سياسية في الدرجة الاولى .

والاسلام لا يقر الرأسمالية ولا احتكاراتها ، كما لا يقر ان تكون الدولة كل شيء في وجود الافراد ، وفي مباشرة اموال الامة .

والنوعان من النقابات يفترضان الخصومة الدائمة بين العمال واصحاب العمل ، ويباشران الدعوة لحقوق العمال وحدها . وهي حقوق لا تؤدي على الوجه الاكمل الا اذا ادى العمال واجبهم على الوجه الاكمل لاصحاب العمل قبل ذلك ، او للدولة كصاحبة عمل ، تمارس استثمار رأس المال .

والى هنا نجد : أن الاسلام :

● يدعو كل مسلم الى اداء الواجب عليه . لانه يعلم ان الحقوق لا تصل الى اصحابها الا اذا اديت الواجبات جميعها .

● ويدعو كل مسلم يؤدي واجبه : ان يؤديه تحت رقابته الذاتية ، وتحت ضمير الخشية من الله وحده ، وتحت التقرب باتقانه واجادته الى الله .

● ويدعو كل مسلم لكي تبقى رقابته الذاتية في يقظة ، ولكي يبقى ضميره حيا يتحرك بين جنبيه : الا يتخلف عن اداء العبادات الثلاث : الصلاة .. والصوم .. والزكاة ..

وزكاة العمال ، قبل أن تكون مالا ، هي زكاة عمل : مهارة .. واجادة واتقان ، وتطوير لمستوى الضعفاء بينهم ، ومساعدتهم على بلوغ مستوى القوي فيهم .

● ويدعو المسلمين جميعا عند اختلاف مجموعة منهم مع مجموعة اخرى : ان يتدخلوا لرفع اساس الخلاف ، وان يكون تدخلهم على اساس :

أ — من العدل المطلق .
ب — وعلى اساس الاخوة بينهم جميعا .
ج — وعلى اساس المساواة في الاعتبار البشري ، بحيث لا تنتقص مجموعة شأن مجموعة اخرى .
د — وعلى اساس الغاء : العنصرية

.. والشعوبية .. والطبقية .

● ويدعو المسلمين جميعا أن يحققوا هدف المجتمع الانساني . وهو هدف لا يقوم على كثرة الكم والعدد . ولكنه يقوم قبل كل شيء على النوعية . فهو هدف حضاري يتمثل : في الاستقرار .. والمودة .. والرحمة .

والرحمة تكون من قوي لضعيف ، ومن كبير لصغير ، ومن ثري لصاحب حاجة ، ومن صاحب مستوى ارقى في المهارة الفنية الى صاحب مستوى اضعف فيها .

● ويدعو أن تكون النقابات المختلفة هيئات تسعى الى تحقيق الخير الى اعضائها . وخير الاعضاء هو في اداء الواجب ، قبل أن يكون في الحصول على الحق .. وأن تسعى في توجيههم الى الاحسان في مستوى الاداء للواجب ، فضلا عن أن تسعى الى دعوتهم الى تجنب ما يسيء الى الاداء في الكم او في النوع .. وأن تبتعد هي نفسها عن أن تكون مصدرا للفرقة في الامة .

كما نجد أن الاسلام :

● نظام حياة الانسانية متكاملة . ولكن من الاسف لم نأخذ به بعد في حاضرنا : في تجربة اجتماعية جديدة ، على نحو ما اخذنا النظام الرأسمالي مرة ، والآخر الماركسي مرة أخرى . وعزلنا في نفوس المسلمين في مجتمعاتنا المعاصرة بين العبادات ونتائجها المترتبة عليها في الحياة العملية .

هل يقدم مجتمع اسلامي من المجتمعات المعاصرة على أن يضع الاسلام موضع التجربة كنظام متكامل : عقيدة .. ومنهجا للسلوك في الحياة .. واساسا في سياسة داخلية وخارجية . .وفي نظام اقتصادي .. وفي ترابط اجتماعي ؟. امأن الدسائس والمؤامرات الخارجية تتساند في وفاق لا ينفض في دفع العلمانية في الامة الاسلامية لاسقاط الاسلام من واقع الحياة ، خطوة بعد اخرى ، الى أن يحجب تماما عن شباب اليوم واجيال الغد ؟

ان ميزة الاسلام هي :

● أنه يرى منطلق العمل من اداء الواجب ، وليس من المطالبة بالحقوق .

● ويرى مسؤولية الانسان في العمل امام الله ، وليس امام انسان ، اي انسان .

● ويرى ان الرقابة على اداء الواجب هي رقابة ذاتية ، وليست رقابة خارجية .

● ويرى ان دور النقابات هو في الحث على اداء الواجب ، قبل المطالبة بالحق .

● ويرى أن العبادة والعمل في ترابط وثيق ، لا يعزل احدهما عن الآخر .

● ويرى أن الصناعة في وظيفتها ومنافعها في حياة الانسان تعادل الايمان في هداية الانسان وتوجيهه .

● ويرى بوجه عام : أن « وجود » الله في حياة الانسان : مصدر الخير والبركة . وأن « غيبته » تتيح أن يحل الشيطان محله في هذه الحياة . وبذلك تكثر المشاكل ، وتحتد الخصومة والصراع ، ويزداد التسيب والتواكل ، وتتوالى الانحرافات : في المال .. وفي الانتاج ، كما وكيفا .